الإختطاف .. جريمة بلا مستقبل!

صافي الياسري

المافيات وحلقات الجريمة المنظمة وغير المنظمة وحدها هي التي كانت تمارس عمليات اختطاف الرهائن، وكان هدفها الاول والوحيد هو المال، و في حالات قليلة (الابتزاز)، حتى جاءت عملية احتجاز الرهائن في السفارة الاميركية بطهران، لتضع معياراً آخر، لكنه في الحقيقة معيار مزيف ومتجن وما هو الا نمط جديد من الجرائم تكون للدولة اليد الطولى فيه. ثم جاءت احداث لبنان ، لتضع ايران تجربتها بين يدي بعض الفصائل اللبنانية التي كانت تربطها بها علاقات وثيقة، وبعد ان يتم اختطاف الاجانب من دول معينة، تتدخل ايران متوسطة بين الخاطفين ودول المخطوفين بذريعة (العمل الانساني) لتعقد صفقة لإطلاق سراح الرهائن، ينال منها الخاطفون نصيبهم، وتنال ايران حصتها مع الشكر.

وبعد غزو الكويت، جمع صدام الاجانب الموجودين في العراق وجعل منهم دروعاً بشرية ثم استمرأ الفكرة فراح يستورد العاطلين عن العمل من دول اوربا واميركا ليجعل منهم (دروعاً بشرية) متطوعة، بينما كانوا يأتون لقاء تذكرة الذهاب والاياب والسكن والطعام ونفحة من المال لا ندري كيف نسميها، كما قدم بعض أصحاب القلوب الانسانية بسبب كرههم للحروب وجهلهم بطبيعة النظام الاجرامية. هكذا نجد ان فكرة الاختطاف منبعها دوائر الجريمة وحاولت تسييسها الانظمة الدكتاتورية والمنظمات الفاشية والطائفية بقصد ابتزاز الدول لتغيير مواقفها، ولم تكن يوماً فكرة ثورية يعتنقها المنتمون إلى الأحزاب والحركات السياسية ذات الاهداف والفكر والبرامج المعروفة. والسياسيون القليلون الذين مارسوا عمليات مشابهة اعترفوا بأنهم ارتكبوا خطيئة وانهم تكبدوا خسائر جسيمة على الاصعدة حين انجرفوا مع الموجة دون ترو. ومن المؤكد ان الذي يمارس الاختطاف ويدعي انه سياسي، انما يجهل حقيقة "الاختطاف" إذا نظرنا اليه بحسن نيه..، وهو يفتقر إلى البرنامج السياسي والقاعدة الفكرية، فالاختطاف لا ينتمي بحكم الهوية والطبيعة إلى أي برنامج وعلى هذا فان من يمارسه لاينتمي إلى أهداف وطنية، اما الخسائر الناجمة عنه فعديدة وفي مقدمتها الاضرار بالعلاقة مع الكيانات السياسية والشعوب التي ينتمي اليها المخطوفون، ولا ينفع الخاطفين انهم يخفون اوجههم وهويتهم، بل ان ذلك يكشف انتماءهم إلى دوائر الجريمة، واستسلام بعض الشركات لشروطهم لا يعني استسلام الدولة وقبولها، فذلك يعني فقدانها استقلالها وهو ما لن ترضاه اية دولة في العالم مهما كان شأنها، هكذا يسقط الادعاء بأن من يختطفون الاجانب في العراق يمكن درجهم في خط الساعين إلى تحقيق هدف وطني، كما يسقط الادعاء بأن الاختطاف يمكن ان يرغم دول المخطوفين على الاستجابة لشروطهم، والخاطفون يعرفون هذا كله، لكنهم يعرفون أيضاً اهدافهم الحقيقية. روى خبراء الكهرباء الروس الذين اختطفوا العام الماضي ان الخاطفين سلبوهم ساعاتهم ومقتنياتهم الذهبية، بينما كان البيان الذي اصدره الخاطفون يدعي بأنهم قاموا بعمليتهم هذه للضغط على الحكومة الروسية لسحب خبرائها العاملين في العراق، وفي حينها رفضت الحكومة الروسية التعامل مع بيان الخاطفين، والتي تعاملت معه هي الشركة الروسية التي يعملون فيها ليطلق سراح الخبراء لقاء فدية ما، فياله من ادعاء مزور ذلك الذي حمله بيان المختطفين. ومثلما فعلت روسيا فعلت ايطاليا وكوريا، برغم مقتل الرهينة الكوري، وتنشر الصحف ووكالات الانباء العالمية انباءً مكررة عن دفع "فدية" لإطلاق سراح هذه الرهينة أو تلك من قبل الشركات أو جهات انسانية وربما من قبل الدولة الحريصة على انقاذ حياة رعاياها من مخالب الإرهابيين والمتوحشين من اعضاء العصابات الاجرامية.

وهذه الانباء ان صحت فهي تؤشر الهدف الاساس من عملية الاختطاف، واذا كان المال هو الهدف فان تغطية العملية ببيان يحمل اهدافاً سياسية، كذبة لا بد من ان تكشفها الأيام.

والاختطاف ظاهرة لم يعرفها العراقيون على امتداد تاريخهم وهي بذلك ظاهرة وافدة انفجرت بعد سقوط النظام وانهيار الدولة وفتح الحدود. وهي مفردة من مفردات ثقافة العنف وتنتمي إلى قاموس الارهاب، وتدخل في نطاق الجرائم المرتكبة بحق الانسانية، وهي تهدر حق الإنسان في الحياة والحرية ولا يجوز النظر اليها بمنظار آخر، فهي جريمة غير قابلة للتبرير ومن يحاول تبريرها انما يشارك فيها ، ومن المؤلم ان نجد أنفسنا عاجزين عن مواجهة مرتكبيهاز نحن نفهم ان التخريب الذي مارسه النظام البائد شمل بعض النفوس القابلة اصلاً للانحراف وشجعها على التردي في مهاوي العنف والجريمة، لكننا نفهم بجلاء ان طبيعة الشخصية العراقية متصلة اتصالاً وثيقاً بقيم الانسانية ومفاهيم الرحمة والعدالة واحترام الآخرين وادب التعامل معهم واحترام حقوقهم، ولا سيما الاجانب، فلم نسمع من قبل عن مضايقة اجنبي يتجول في اسواق العراق من قبل العراقيين . ومثلما ان بقية الجرائم الجنائية لا مستقبل لها، فان الاختطاف بلا مستقبل.

العراق ٢٠٠٥

الجمهورية الثانية ... التأسيس الأول للدولة الحديثة

كتابة ورسوم : علي المندلاوي

المؤسسون الأوائل لشبه الدولة العراقية الحديثة كانوا الانجليز.
التاريخ يقول ذلك.
استورد الانجليز شريفاً من الحجاز، ونصبوه ملكاً على مدن الوسط والجنوب بعد ان بسطوا نفوذهم عليها.
اسال اكتشاف النفط في حقول كركوك لعاب الانجليز، فدفعوا بالتهم العسكرية صوب الشمال غير عابئين باتفاقية كانوا أبرموها مع الترك بعدم تجاوز حدود ولاية الموصل الكردستانية.

وهناك، والى الشمال من كركوك، وتحديداً في مدينة السليمانية، اعلن شيخ استطاع ان يؤلب القبائل الكردية على الانجليز تاسيس مملكة باسم "كردستان".

رفع الشيخ، وكان يدعى"محمود الحفيد" راية المملكة الجديدة، وأعلن نفسه ملكاً عليها.

لم يتقن ملك كردستان غير المتوج اللعبة جيداً، فجرح في معركة، واسر في معركة اخرى، وفي جولة اخيرة خسر الحرب ليخرج الكرد معه من معركة تقرير المصير التي ربحتها امم لا تقارب عشر العشر من مساحة، وعدد سكان الامة الكردية.

الانجليز، وبعد ان انتزعوا الولاية حرباً، اكملوا حياكة نصرهم سلماً، فاوعزوا بارسال موفدين اميين لاستفتاء الكرد ان كانوا يريدون الاتحاد بجلاديهم الترك، أو بمن سيجلدهم لاحقا من العرب.

لم يطلب منهم احد ان يكونوا مع انفسهم، فاختاروا اجازة من الجلد!

وقع كرد ولاية الموصل على صك الاتحاد مع جيرانهم العرب مقابل وعود باحترام خصوصيتهم القومية ، تلك الخصوصية التي انتهكت لاحقاً بشكل صارخ.

وفي وقت لاحق، وفي الجزء الكردي من ايران، كان الكرد على موعد دموي مع جمهوريتهم الفريدة "مهاباد".

"القاضي محمد" اصبح رئيسا للجمهورية، والجنرال القادم من "بارزان" "مصطفى البرزاني" كان وزيراً للدفاع.

صفقة غاز لم تتم اخرجت روسيا حليفة الجمهورية الوليدة من اللعبة، وجمهورية "مهاباد" من قائمة الاوطان المتحررة.

واعدم القاضي محمد، ولجأ البرزاني مع عدد كبير من قياداته وفدائييه في رحلة محفوفة بالمخاطر إلى روسيا.

في بغداد اجهض العراقيون مدفوعين بايديولوجيات متضاربة "شيوعية، قومية.. الخ" وتقاطع سياسات ومصالح اقليمية ودولية انتدابا بريطانيا، واسقطوا وزارات، ووصل الاحتقان إلى حد التجاوز على النظام الملكي نفسه، ووصمه بالتبعية للانجليز، وبتنفيذه السياسات الاستعمارية في المنطقة.

برأيي الشخصي، وراي الكثير من العراقيين يمكن اعتبار فترة الحكم الملكي "فيصل، غازي، الوصي" المرحلة الوردية في حياة العراق والعراقيين منذ اعلن الانجليز عن قيامها، وحتى اليوم!

(ديمقراطية وحرية ونسبيتان، ورئيس وزراء بيده السلطات، وبرلمان "...." واحزاب، وحرية صحافة ونشر ... الخ) وهذا لا يعفي النظام نفسه من الكثير من المثالب و السلبيات التي أدت إلى قصم ظهره، انقلاب عليه.

لقد استطاع العراقيون، وخلال فترة قصيرة من اعلان الدولة العراقية، الخروج من سباتهم الطويل، و(لو) اتيح للنظام الملكي ان يدوم، و(لو) كان للنخب السياسية في البلاد آنذاك برنامج اصلاحي شمولي يضع في الاعتبار احترام حقوق الكرد، والقوميات الأخرى، لكان للعراق ان يكون من أكثر دول منطقة شرق اسيا رفاهية وتقدما وازدهارا، ناهيك عن تأثير مثل هذا النموذج على ما يجاوره من دول.

فالفيدرالية التي وعاها شيوخ النفط في الخليج (على سبيل المثال) لمت شمل مشايخ صغيرة متفرقة حفظت من خلال (دولة الامارات العربية المتحدة) كياناتهم في دولة فيدرالية تعد نموذجاً طليعياً للنجاح.

لقد اثبت الراحل الشيخ (زايد بن سلطان آل نهيان) حكمة وفهماً، ونضجاً لم يصل إلى ربعه خيرة السياسيين العراقيين منذ تأسيس الدولة العراقية ، وحتى اليوم!

والدليل هو ان الكرد وحدهم من يطالب بالفيدرالية للعراق، والمراقب يرى ويسمع تصريحات السياسيين العراقيين من العرب والقوميات الأخرى، ولا يكاد يجد بينهم من يذكر الفيدرالية كحل ناجح لحل مشاكل العراق، وهو ما لم نجده أيضاً، في اولويات برامج احزابهم وتحالفاتهم خلال الانتخابات الماضية، وكان الفيدرالية حل ومكسب للكرد وحدهم، وليس لكل العراق!

لقد كان لوجود وعي سياسي متقدم خلال العهد الملكي بمستوى ايجاد حلول عقلانية تؤطر علاقة شركاء الوطن الواحد في نظام ديمقراطي كالفيدرالية ان يحافظ على العراق، ويجنبه كل المآسي التي لحقت به وبشعوبه، ابتداء بالمجزرة المخزية التي تعرضت لها العائلة المالكة، ومروراً بما افرزته تلك السياسات من انقلابيين عسكريين ، واحزاب قومية شوفينية، كحزب البعث، ووصول قادة دكتاتوريين ، كصدام حسين وغيره.

دعونا نتوقف للحظة نراجع فيها كل ما حصل، وباعتماد نقد شفاف، ومكاشفة متبادلة.. هل حصل ان فعلنا ذلك لنعرف ان كان من سبقنا على صواب، وان كنا نحن أيضاً نعمل الصواب في معالجة قضايا شعبنا الذي لا يمكن مقارنة حاله حتى بدولة لا يملك شعبها الماء الذي يشربه ، كالاردن.

دعا "ميخائيل غورباتشوف" إلى الشفافية والمكاشفة (برسترويكا) واستطاع بمفكهما ان يحرر شعبه، وشعوب دولة استعمارية كبرى عرفت باسم "الاتحاد السوفيتي".

كانت المظاهر الاستعمارية السوفيتية واضحة جداً على بلدان مثل بلغاريا وهنغاريا اللتين تسنى لي زيارتهما من بين دول اوربا الشرقية (الشيوعية).

وبوسعنا ان نسترجع احداث (ربيع براغ)، والقمع البربري الذي تعرض له الجيك في محاولتهم اليائسة لنيل حريتهم من (الرفيق) الروسي.

وما حدث في بولندا، وجمهوريات البلطيق (لاحقا)، والمانيا الشرقية .. الخ شواهد صارخة على التضليل الذي جرى باسم الاشتراكية والاممية، ودكتاتورية البروليتاريا.

الـ (بيرسترويكا) حلت العقدة، وارسلت العجوز السوفياتي سريعا إلى القبر، وشعوب روسيا، وروسيا البيضاء، واوكرانيا، و شعوب ماسمي بالكتلة الشرقية إلى الانعتاق والحرية، والانطلاق إلى افق التجدد والبناء، والانخراط بسلام في المجتمع الدولي من جديد .

و لو نعود إلى موضوعنا، لوجدنا بان علينا ان نركن إلى المكاشفة والشفافية التي كان لها اعمق الاثر في الفجائع التي حلت بنا، والهزائم المنكرة التي تعرضنا لها، والحريات التي صودرت منا، وبالنتيجة الفرص والثروات، والطاقات البشرية الهائلة التي اهدرها قادة قاصرون عن اداء دورهم في ايجاد الحلول المناسبة لقضايا البلاد الشائكة، ولعل الانقلابيين من فئة العسكر يحتلون المركز الاول في امتهان القيم والحريات، وجر البلاد إلى شفير الهاوية.

وبمراجعة تاريخية بسيطة نكتشف ان جل هؤلاء الانقلابيين العسكريين خرجوا من تحت الخوذ الكاتمة للحريات والحقوق للضباط الاحرار في مصر، وعلى راسهم "جمال عبد الناصر".

فبانقلابه في (٢٣ يوليو . تموز) على الملك فاروق، واعلانه النظام الجمهوري، وتبوئه الرئاسة اعطى عبد الناصر الشرعية لطموح العسكريين العرب بالانقلاب على النظم القائمة، ووضع كل الاعتبارات تحت عقب جزمهم الحديدية.

واذا كان في ناصر ورفاقه الضباط قدر من العقلانية والخلق انعكس ليس فقط على عدم المساس بالملك فاروق وعائلته، انما بترحيله معززا مكرما على سفينة ملكية، فان ما ارتكبه ضباطنا "الكرام" ، مع اعلان الانقلاب، وتأسيس الجمهورية العراقية "المجيدة" من جريمة وحشية بحق العائلة المالكة كان مؤشراً بالغ السوء لطبيعة الحكم القادم وشكله.

"لا زعيم الا كريم" هكذا رددت الجماهير، وهكذا بدأت تتكرس صورة البطل المنقذ، والزعيم الاوحد في العراق الذي بدأ بادارة شؤون البلاد من مكتبه بوزارة الدفاع. العسكريون لا يملكون بالنتيجة الا حلولا عسكرية، هذا ما اثبته "قاسم" ، وزملاؤه الضباط في تعاملهم مع بعضهم البعض، ومع قضية الكرد. فبعد ان استدعى قاسم الزعيم الكردي "مصطفى البرزاني" من منفاه، لم يتوصل معه إلى حل سلمي متكامل يلبي طموح الكرد بادارة ذاتية لاقليمهم، مما ادى إلى اشتعال فتيل الحرب، واستنزاف ابناء الوطن وخيراته.

اشتعلت ملفات اخرى في العديد من المحافظات العراقية، وخاصة في الموصل، ودخل الاخوة الضباط في حلبة التطاحن والعراك على السلطة، وكانت النتيجة انقلاب دموي آخر انتهى بتصفية الزعيم، وانبثاق حكم عسكري استبدادي آخر تحت راية الجمهورية السعيدة.

في عام ١٩٦٨ حاك البعثيون بزعامة العسكري "احمد حسن البكر" انقلابهم على فترة حكم الاخوين "عارف"، وسموا انقلابهم بالابيض!

لكنهم سفكوا من الدماء بعد ان استتب لهم الامر بما لا يمكن تصوره!

قوى الظلام والشر من ايتام صدام، وابناء "بن لادن" غير الشرعيين، مخابرات دول الجوار، الحاقدة على خروج العراق من نفق الدكتاتورية، يمكن القول ان ابناء العراق انفسهم يجلسون اليوم بود، وعقل مفتوح، وحرية كاملة للاتفاق على تأسيس جديد لوطن يحترم ابناءه بكامل الوانهم واطيافهم. وعلى صياغة حاضره ومستقبله على اسس احترام حقوق الإنسان، وحريته، وكرامته، وتوزيع الثروات بشكل عادل بين ابناء الوطن الواحد.